بسم الله الرحمن الرحيم

ملة إبراهيم

تأليف

محمد بن سعيد الأندلسي

لطف الله به

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين أما بعد فقد قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾[النساء ١٧٠]، فإن الواجب على كل مكلف مُتجرد أن يبحث عن الحق الذي جاء به موكب النور من لدن نوح عليه السلام إلى الخاتم محمد ﷺ، ولا يتلقى الإسلام الموروث من الآباء والمشايخ والعامة بالتسليم دون تمحيص وعرض على الكتاب والسنة والأمر العتيق، فإن التحريف والتبديل قد طال معاني الدين في هذا الزمان، وقد تولى زمام ذلك أحبار ورهبان وعلماء ومؤسسات ــ تعكف عليها الطواغيت ــ تعمل على سلخ هذه الأمة من الفطرة السوية وتنكيسها، وتقليب الحقائق وتبديلها، فصار الإسلام إلى أشد غربة مرت به منذ ظهوره واستعلائه في صدر هذه الأمة ... فاندرست في هذا الزمان معالمه، وطُمست حدوده ونُكِّست أعلامه، فسادت الجاهلية بأوضاعها وأوضارها في هذه الديار، فالقبور والقباب بالدعاء تُعبد، والمحاكم بالدعاوى تُقصد، والحكم والتشريع إلى الأرباب يُسند، ودين الجهم وفكر الغرب في المدارس يُجدد، والفطر تُسلخ وتُنسخ وتُبدد، ودعاة الحق مقهورة في سجن أو في الأرض هائمة تُشرَّد ... وصوت الحق مكتوم، وطالبه يمر عبر حواجز وعوائق ومتاهات ودروب وخصوم، حتى يزيل ركام الباطل الراسخ الموهوم ... حتى تقول لمن نجى من هذه الخنادق والسدود يا ويحه كيف نجا!! ... إن الأمر عظيم والخطب جليل والمصير إما إلى جنة فنعم أجر العاملين، أو نار فبئس مثوى الكافرين، والمكوث فيهما أبد الآبدين، فهنيئا للناجي من الفائزين وسخطا للمتردي من الهالكين ... فالله الله

في الملـــة الحنيفيـــة المدروســـة، تعلموهـــا عبـــاد اللـــه وأحيوهـــا فـــي بيـــوتكم ونـــواديكم وبـــين إخـــوانكم وأهلـــيكم، واســـتقيموا عليهـــا واثبتـــوا علـــى تبعاتهـــا، فإنهـــا حبـــل اللـــه المتـــين وصـــراطه المســـتقيم ولا نجـــاة إلا بالاستمســـاك بهـــا والثبـــات عليهـــا إلـــى الممـــات مهمـــا كانـــت التبعـــات والعقبـــات، قـــال تعـــالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴾[الأعـــراف ١٧٠]، وقـــال تعـــالى:﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[النحـــل ١٢٣]، فقـــد كـــان إبـــراهيم إمامـــا متبعـــا وحنيفـــا مســـلما وأُمَّـــة علـــى الـــدين الحـــق وحـــده كمـــا قـــال تعـــالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[النحـــل ١٢٢]، قـــال محمـــد بـــن عبـــد الوهـــاب: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ ﴾ لـــئلا يســـتوحش ســـالك الطريـــق مـــن قلـــة الســـالكين، ﴿قَانِتٗا لِّلَّهِ ﴾ لا للملـــوك ولا للتجـــار المتـــرفين ﴿ حَنِيفٗا﴾ لا يميـــل يمينـــا ولا شـــمالاً كفعـــل العلمـــاء المفتـــونين ﴿ وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾خلافا لمن كثَّر سوادهم وزعم أنه من المسلمين"[١].

لقـــد أعلـــن الخليـــل فـــي قومـــه البـــراءة مـــن شـــركهم بقولـــه: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ ، وجهـــر بالحنيفيـــة وإفـــراد اللـــه بالعبوديـــة والتوجـــه للـــذي فطـــر الســـماوات والأرض بقولـــه: ﴿ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ

[١] الدرر السنية ٣١١/١٢

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ﴾ وصدع فيهم بالبراءة منهم بقوله: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾" أي: لست ممن يدين دينكم ويتّبع ملّتكم أيُّها المشركون"[1]، فما كان جوابهم إلا أن قالوا: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴾[الأنبياء ٦٩]، وبعد الدعوة إلى التوحيد والصدع به، والفتنة في الدين والصبر عليه، والبراءة القولية والعملية والبلاء المبين، اعتزلهم وما يعبدون من دون الله رب العالمين: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴾[مريم ٤٢]، ثم جاءت الهبات والعطايا، بعد مفاصلة واعتزال من كفر برب البرايا: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴾[مريم ٥٠]، وبعد كل هذه المقامات العلِّية في الدين خاف الخليل على نفسه وبنيه الشرك بالله وعبادة الأوثان: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[إبراهيم ٣٦]، فكيف نقول نحن وما عسانا أن نقول!! فإن كان إبراهيم الخليل الأمة قد خاف على نفسه وبنيه عبادة الأوثان من النجوم والأحجار، فمن يأمن البلاء بعد إمام الحنفاء في هذه الديار؟ قال

[1] تفسير الطبري ٤٨٨/١١

إِبْـــرَاهِيم التَّيْمِـــيّ: «مـــن يَـــأْمَن الْـــبلَاء بعـــد قَـــول إِبْـــرَاهِيم: ﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾[1]... فمـــن يـــأمن علـــى نفســـه وبنيـــه فـــي هـــذا الزمـــان اتبـــاع الدســـاتير والطواغيـــت العلمـــاء، وعبـــادة القبـــور والأوطـــان والأوليـــاء ... مـــن يـــأمن علـــى نفســـه عبـــادة الـــدنيا التـــي صـــار النـــاس لهـــا عبيـــدا يتفـــانون فـــي جمعهـــا ويوالـــون ويعـــادون عليهـــا ... مـــن يـــأمن علـــى نفســـه الزلـــل فـــي هـــذه الأمـــــواج المتلاطمـــــة والفـــــتن المتســـــاقطة: ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحـــــل ٩٤] ... اللهـــــــــــم سلم عبادك من فتن آخر الزمان وطواغيتها.

يـــا أيهـــا النـــاس: إن النجـــاة فـي هـــذا الزمـــان هـي فـي معرفـــة حقيقـــة دعـــوة الأنبيـــاء مـــن لـــدن نـــوح إلـــى أبـــي الأنبيـــاء إبـــراهيم عليهمـــا الســـلام إلـــى الخـــاتم محمـــد ﷺ، فمـــن عـــرف الحـــق واســـتنار بـــه عـــرف أهلـــه، ومـــن تصـــور حقيقـــة الإســـلام الـــذي أتـــى بـــه الأنبيـــاء ثـــم نظـــر إلـــى أهلـــه وعشـــيرته وقومـــه وداره عـــرف أنهـــم ليســـوا علـــى شـــيء مـــن ذلـــك الأمـــر العظـــيم والنـــذير المبـــين، كمـــا عـــرف الحنفـــاء الحـــق بفطـــرتهم فـــي الجاهليـــة النكـــراء فعرفـــوا حقيقـــة أقـــوامهم المشـــركين فـــي الســـراء والضـــراء ... فالإصـــابة فـــي معرفـــة ماهيـــة الإســـلام العتيـــق وحقيقتـــه هـــي طـــوق النجـــاة وهـــي الميـــزان الـــذي تـــوزن بـــه الـــدعوات والحركـــات والشـــعوب والحضـــارات، لـــذلك توجهـــت عنايـــة الصـــادقين إلـــى تحديـــد حقيقـــة الإســـلام وملـــة إبـــراهيم وتحكيمهـــا علـــى الأنـــام فـي ســـائر الأزمـــان ... ولقـــد اجتهـــدت فـي هـــذه الرســـالة إلـــى تقريـــب مفهـــوم الملـــة الحنيفيـــة لطالـــب الحـــق وبـــاغي الخيـــر وســـالك النجـــاة

[1] الدر المنثور ٤٦/٥

والمتجـــرد إلـــى الـــدليل ... عرضـــتها بطريقـــة سلســـة مشـــبَّعة بالأدلـــة والآثـــار، عســـى اللـــه أن يجعلهـــا حجـــة علـــى العـــالمين ومنـــارة للقاصـــدين ... واللـــه مـــن وراء القصـــد وهـــو يهـــدي الســـبيل ... اللهـــم اهـــدِ قـــومي فـــإنهم لا يعلمون.



الباب الأول:

حقيقة ملة إبراهيم

إن حقيقة الملة الحنيفية جاءت مبيَّنة موضحة في كتاب الله، ومن أظهر تلك المواضع قوله تبارك وتعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾[الممتحنة ٤]، قال أبو جعفر الطبري: وقوله: ﴿ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ يقول: حين قالوا لقومهم **الذين كفروا بالله وعبدوا الطَّاغوت: أيها القوم إنا براء منكم، ومن الذين تعبدون من دون الله من الآلهة والأنداد**، وقوله: ﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا ﴾ يقول جلّ ثناؤه مخبرا **عن قيل أنبيائه لقومهم الكفرة**: كفرنا بكم، أنكرنا ما كنتم عليه من الكفر بالله وجحدنا عبادتكم ما تعبدون من دون الله أن تكون حقًّا، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا **على كفركم بالله**، وعبادتكم ما سواه، ولا صلح بيننا ولا هوادة، ﴿ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾، يقول: حتى تُصدّقوا بالله وحده، فتوحِّدوه، وتفرِّدوه بالعبادة"[١] ... **فهذه هي ملة إبراهيم: براءة الأنبياء من الأقوام المشركة** كما في قوله: ﴿ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ ﴾ والتصريح لهم بالكفر والبغضاء والعداوة ــ عند القدرة ــ: ﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ

[١] تفسير الطبري ٢٣/٣١٧

ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ ﴾ وإنكـــار عبـــادتهم للطواغيـــت: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ وقطـع المـوالاة إلا بالتوحيـد وإخـلاص العبـادة للـه وحـده دونمـا سـواه: ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ ... وهذه هي أركان الملة الحنيفية:

١ـ بـراءةٌ مـن الأقـوام المشـركة وبغضـها وعـداوتها ٢ـ وبـراءةٌ مـن شـركها وكفرهـا ٣ـ وبـراءةٌ مـن المعبـودات والآلهـة والطواغيـت التـي تعبـدها مـن دون اللـه ... فهـي بـراءة مـن العبـادة والعابـد والمعبـود مـن دون اللـه، فـلا تتحقـق الملـة إلا بهـذه الأركـان الثلاثـة، وقـد جُمعـت فـي آيـة الممتحنـة وجـاءت متفرقـة فـي مواضـع مـن كتـاب اللـه، فـلا يتحقـق التوحيـد الخـالص إلا باسـتكمال هـذه البـراءة التامـة، فـإن تخلـف أحـد أركانهـا فـلا توحيـد ولا حنيفيـة ... فـلا تكـون بـراءة مـن الشـرك إلا بـالبراءة مـن العابـد والمعبـود، ولا تكـون بـراءة مـن المعبـود إلا بـالبراءة مـن العابـد وشـركه، ولا تكـون بـراءة مـن العابـد إلا بـالبراءة مـن شـركه ومعبـوده، فـإن اعتقـد صـحة عبـادة الطواغيـت أو صـحح إسـلام عابديـه مـا عـرف التوحيـد ولا تحقـق بالملـة الحنيفيـة ولا شـم رائحـة الإسـلام ... وهـذه هـي أركـان البـراءة التـي لا يصـح ركـن النفـي فـي كلمـة التوحيـد ــ لا إلـه إلا اللـه ــ إلا بهـا، وهـذا المعنـى جـاء واضـحاً فـي كتـاب اللـه فـي غيـر مـا موضـع ومـن أظهـره سـورة الكـافرون التـي سـماها النَّبـي ﷺ: البـراءة مـن الشـرك كمـا روي عَـنْ فَـرْوَةَ بْـنِ نَوْفَـلٍ، عَـنْ أَبِيـهِ: أَنَّ رَسُـولَ اللـهِ ﷺ قَـالَ: «فَمَجِـيءُ مَـا جَـاءَ بِـكَ؟» قَـالَ: قُلْـتُ: جِئْـتُ يَـا رَسُـولَ اللـهِ لِتُعَلِّمَنِـي شَـيْئًا أَقُولُـهُ عِنْـدَ مَنَـامِي، قَـالَ: " إِذَا أَخَـذْتَ مَضْـجَعَكَ فَـاقْرَأْ ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[الكافرون: ١] ثُـمَّ نَـمْ عَلَـى خَاتِمَتِهَـا، **فَإِنَّهَـا بَـرَاءَةٌ مِـنَ الشِّـرْكِ** »[1]. ووجـه

[1] رواه النسائي برقم ١٠٥٦٩

الدلالـــة أن ســـورة الكـــافرون مُفتَتَحَـــةٌ ومُختَتَمَـــةٌ بـــالبراءة مـــن الكـــافرين ومـــن ديـــنهم ومعبـــودهم وعبـــادتهم فســـمَّاها النَّبـــي ﷺ بـــراءة مـــن الشـــرك وهـــي بـــراءة مـــن المشـــركين كمـــا روي عَـــنْ عَمْـــرِو بْـــنِ مَالِـــكٍ، قَـــالَ: كَـــانَ أَبُـــو الْجَوْزَاءِ يَقُولُ: «**أَكْثِرُوا قِرَاءَةَ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وَ ابْرَؤُوا مِنْهُمْ**»[١].



[١] فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة ١/١٠٨

فصل:

تفصيل أركان ملة إبراهيم

المطلب الأول: البراءة من الشرك

البراءة من الشرك هي ترك الشرك واعتقاد عدم أحقية الآلهة الباطلة للعبادة، وينقضها التلبُس بالشرك بالله أو اعتقاد أحقية الآلهة الباطلة للعبادة، وهذا المعنى دلت عليه حجج الله تعالى كالعقل السليم والفطر السوية والميثاق القديم كما قال تعالى: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ [الأعراف:١٧٢]، فعن أَنَس بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا، وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: **أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي**»[1]، فقبحُ الشرك والبراءة منه حقيقةٌ استودعها الله الفطر وأقام الله عليها حججه البالغة، وهي من أصل الدعوة التي جاء بها الأنبياء إلى الأقوام المشركة المعاندة وهي من صميم ملة إبراهيم كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[الزخرف ٢٨]، وهي دعوة جميع الأنبياء ومن ذلك ما أخبر به عن قوم عاد لما قال لهم أخوهم هود عليه السلام: ﴿ وَإِلَىٰ

---

[1] رواه البخاري برقم ٦٥٥٧

عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[الأعراف: ٦٥]، فأجابوا عن ذلك بقولهم: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾[الأعراف: ٧٠]، فما كان جواب هود إلا أن قال: ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾[هود٥٥]، وفي قصة صالح لما قال لقومه: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[الأعراف:٧٣] ، ﴿قَالُوا۟ يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾[هود: ٦٢] ، وكما قالت مدين لشعيب لما دعاهم إلى ترك الشرك وإخلاص العبادة لله: ﴿قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾[هود: ٨٧] .

إنَّ البراءة من الشرك لا تنفك عن البراءة من المشركين، لأن الله عز وجل جعل الميثاق والفطرة والعقل حجة على الإشراك به، فلا يُعذر المشرك بحال لأن الحجة قائمةٌ عليه في كل حال، أي لا يقع في الشرع وُجود شرك اختياراً دون مشرك، وليس في دين الله مشرك مسلم إلا في عقول أحفاد الجهم بن صفوان، لأن الحنيف غيرُ المشرك قال تعالى:﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ﴾ [الحج ٣١]، قال أبو

بكر الصديق: «كان الناس يحجون وهم مشركون فكانوا يسمونهم حنفاء الحجاج، فنزلت﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦ ﴾»[١].

وكل من تلبس بالشرك مختاراً يُسمى مشركاً في كل أحواله عالماً كان أو جاهلاً، مُعانداً كان أو مُعرضاً، متأولاً كان أو مُلَبَّساً عليه يظن أنه من المهتدين ... كان قبل الرسالة أو بعدها، حديثُ عهدٍ بإسلام أو يعيش في نائية، إذْ الحجة قائمة عليه بالفطرة والميثاق وهي لا تنفك عنه في جميع هذه الأحول فلا ينفك الشرك عن المشرك، فاسم المشرك ثابت قبل الرسالة وبعدها، قال ابن تيمية:" فاسم المشرك ثبت قبل الرسالة؛ فإنه يشرك بربه ويعدل به ويجعل معه آلهة أخرى ويجعل له أندادا قبل الرسول ويثبت أن هذه الأسماء مقدم عليها"[٢]، وإذا تحقَّق التلازم بين الشرك والمشرك تحقَّق التلازم بين البراءة من الشرك والبراءة من المشرك، فلا إله إلا الله ركنها البراءة من الشرك والبراءة من المشركين والبراءة من الآلهة الباطلة ومن لم يأت بذلك لا يصح إسلامه وليس من أهل لا إله إلا الله، وهذه هي البراءة من الأديان المتضمنة البراءة من الدين الباطل وطواغيته وعُبَّادِه المشركين، وقد جاء الجمع بين الشرك والمشرك في كتاب الله في مواضع في بيان ملة إبراهيم:﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللهِ﴾[الممتحنة ٤]، فَقدَّم البراءة من العابدين لأنها تتضمن البراءة مما يعبدون، فهي براءة من العامل وعمله ومن العابد وعبادته، ومفاصلةُ الشرك كله لا تتم إلا بالبراءة من أهله واعتقاد

[١] أخرجه ابن ابي حاتم في تفسيره برقم ١٣٩١٦

[٢] مجموع الفتاوى ٣٨/٢٠

[٣] كتاب التوحيد ٣٠٦/١

أنهم على دين باطل، فمن حقَّق هذه المفاصلة تحقق بقوله: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ .

المطلب الثاني: البراءة من المشركين

البراءة من المشركين هي مُفارقة المشركين في الدين واعتقاد أنهم على دين باطل، وينقضُها أسلمة المشركين واعتقاد أنهم معذورون بالجهل أو التأويل أو غيرها من المعاذير، فلا عذر بالجهل أو التأويل أو التقليد أو الخطأ في الشرك بالله رب العالمين، فيجب على المكلف اعتقاد أن المشركين في دين باطل بتلَبُّسهم بالشرك، وهذا الاعتقاد من صميم الملة الحنيفية، بل لا يتم الدخول في دين الإسلام حتى تُتْرَكَ مِلَّةُ الشرك بمفاصلة القوم المشركين والبراءة منهم ومما يعبدون من دون الله، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[الأنبياء٥٣]، فتبرأ إبراهيم من قومه ومن آبائهم الأقدمين، قال ابن زيد في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ قال: **الذين معه الأنبياء**»[1]: ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[الممتحنة ٤].

وقد أمر الله نبيه محمدا ﷺ بالإسلام ونهاه أن يكون من المشركين فقال : ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ

[1] تفسير الطبري ٣١٧/٢٣

ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[الأنعام١٤]، فأمره الله بالإسلام ونهاه عن أن يكون من المشركين، وهذا النهي يقتضي المفاصلة والبراءة منهم، فالبراءة من المشركين شرط في صحة الإسلام كما أن ترك الشرك شرط في صحة العبادة كما في قوله تعالى: ﴿ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[النور ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾[النساء ٣٥]، فجعل ترك الشرك شرطا في صحة العبادة فلا تصح عبادةٌ مع الشرك بالله، كما أنه لا يصح إسلامٌ مع أسلمة المشركين وعدم البراءة منهم ، ومثله في كتاب الله كثير كقوله: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[الأنعام:٧٩]، ومثل ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴾ [مريم ٤٨]،فقدَّم اعتزالهم على اعتزال معبوداتهم، ومثله في قوله تعالى:﴿ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ ﴾[الشورى١٥]، قال البغوي:" أَيْ: نَحْنُ بُرَآءُ مِنْكُمْ"[١]، وقوله تعالى:﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾[يونس٤١]، قال السمعاني :" هَذَا مثل قَوْله: ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾ومثل قَوْله تَعَالَى: ﴿ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ ﴾"[٢] ... فهذه الآيات كلها في البراءة من المشركين في مقام الدعوة إلى الإسلام وبيان صفة التحقق به.

---

[١] تفسير الطبري١٩٦/٧

[٢] تفسير السمعاني ٣٨٥/٢

والدليل على أن البراءة من الأقوام الكافرة هو من أصول ملة إبراهيم ودعوة الرسل أجمعين: الآيات المفسرة لحقيقة التوحيد، فهي كلها في مخاطبة الأنبياء لأقوامهم المشركين وبيان حقيقة عملهم وما هم عليه من الشرك ونهيهم عن ذلك ودعوتهم إلى الإسلام وتوصيف حالهم، فكيف يكون المرء محققا لملَّة إبراهيم وركنها البراءة من المشركين إذ كان مؤسلما لقومه الذين هم أشد كفراً وشركاً من عُبَّاد الكواكب والنجوم والأصنام!!، والآيات الواردة في بيان ملة إبراهيم وحقيقة دعوة الرسل المفسرة للتوحيد كلها خطاب من الرسل لأقوامهم كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الزخرف ٢٨]، وسياق قصص الأنبياء في سورة الأعراف وهود حيث يتكرر قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾.

فدعوة الأنبياء قاطبة قائمة على إفراد الله بالعبادة والبراءة من الشرك وأهله، وهذا هو أسُّ الصراع وأصل النزاع بين الأنبياء والأقوام المكذبة والقرى المعاندة، فلا يؤمن الرجل من هذه الأقوام للأنبياء إلا بعد البراءة من أهله وعشيرته وتكفيرهم واعتقاد أنهم ليسوا على شيء من الدين الحق، ويخلع الأنداد ويتبع الرسول الذي بعث فيهم ويخضع وينقاد لأمر الله تعالى ويكفر بالأرباب كما روى ابن إسحاق في السيرة قال:" ثم إن أبا بكر لقي رسول الله ﷺ فقال: **أحق ما تقول قريش يا محمد من تركك آلهتنا، وتسفيهك عقولنا وتكفيرك آباءنا؟** فقال رسول الله ﷺ: يا أبا بكر إني رسول الله ونبيه، بعثني لأبلغ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق، فو الله إنه للحق أدعوك، إلى الله يا أبا بكر، وحده لا شريك له، ولا يعبد غيره، والموالاة على طاعته أهل طاعته، وقرأ عليه القرآن، فلم يفر،

ولـم ينكـر، فأسـلم وكفـر بالأصـنام، وخلـع الأنـداد، وأقـر بحـق الإسلام، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق"[١].

المطلب الثالث: البراءة من الطواغيت والأرباب والآلهة الباطلة

البراءة من الطواغيت هي ترك عبادتهم واجتنابهم، واعتقاد أنهم رؤوس في الكفر وأئمةٌ في الضلال وهي ملة جميع الأنبياء كما قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل ٣٦]، فقوله:﴿ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾ أي: هو في جانب وأنتم بجانب وهي مبالغة في المفاصلة، ويتم ذلك بالبراءة من كل الآلهة الباطلة وعابديها وبُغضهم وعَداوتهم وتكفيرهم، ولنا في أبينا إبراهيم الأسوة الحسنة لمَّا قال: ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾[الأنبياء]، وقال لقومه المشركين:﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾[الأنبياء]، وهذا أعلى مراتب البراءة من الطواغيت بكسرها وإعلان البراءة منها والصدع ببطلان ألوهيتها وتحمل الأذى على ذلك، وعلى هذا سار بني إبراهيم من بعده فقال يوسف الكريم :﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[يوسف ٤٠]، وبهذا بُعث النبي ﷺ كما في حديث عمرو بن عبسة

---

[١] سيرة بن اسحاق ١/١٣٩

الأسلمي: قَالَ ﷺ: «أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، **وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ**، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ»[1].

وعلى مثل ذلك مضى الحنفاء كما روى عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ فِي قَوْلِهِ:﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾[الزمر ١٧]،قَالَ:« نَزَلَتْ هَاتَانِ الْآيَتَانِ فِي ثَلاثَةِ نَفَرٍ كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إلا اللَّهُ. فِي زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، وَأَبِي ذَرٍّ الغفاري، وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ»[2]، وقد ثبت في السنة أن هؤلاء الحنفاء قد حققوا البراءة من الأرباب والأقوام وشركهم، فعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ: «رَأَيْتُ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ قَائِمًا مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الكَعْبَةِ يَقُولُ: يَا مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ، **وَاللَّهِ مَا مِنْكُمْ** عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ غَيْرِي» ... **وهذه هي البراءة: فإذا قيل لك ماهي البراءة فقل ما قال زيد رحمه الله تعالى، ومن لم يأت بها مع هذه الأقوام ما عرف التوحيد وما فارق دين قومه المشركين** كما قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَأَمَّا زَيْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ فَوَقَفَ فَلَمْ يَدْخُلْ فِي يَهُودِيَّةٍ وَلَا نَصْرَانِيَّةٍ، **وَفَارَقَ دِينَ قَوْمِهِ، فَاعْتَزَلَ الْأَوْثَانَ** وَالْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَالذَّبَائِحَ الَّتِي ذْبَحُ عَلَى الْأَوْثَانِ وَنَهَى عَنْ قَتْلِ الْمَوْءُودَةِ ، وَقَالَ: أَعْبُدُ رَبَّ إِبْرَاهِيمَ، وَبَادَى قَوْمَهُ بِعَيْبِ مَا هُمْ عَلَيْهِ"[3]، **ومن الحنفاء سلمان الفارسي** حيث قَالَ: «كُنْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ جَيٍّ، وَكَانَ أَهْلُ قَرْيَتِي يَعْبُدُونَ الْخَيْلَ الْبُلْقَ، **وَكُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ**»

---

[1] رواه مسلم برقم ٢٩٤

[2] رواه ابن ابي حاتم برقم ١٨٣٨٠

[3] سيرة ابن هشام ٢٢٥

الحديث[١]، **ومن الحنفاء عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قَالَ بفطرته: «كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ **النَّاسَ** عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ»[٢].

فهذه النصوص هي مفسرة للقدر الذي أتى به الحنفاء وأدركوه بفطرهم وهو البراءة من الشرك والآلهة الباطلة وأقوامهم المشركة، وحكى الإجماع عبد الرحمن بن حسن على أن المرء لا يكون مسلما إلا بذلك حيث قال: "أجمع العلماء سلفًا وخلفًا من الصحابة والتابعين والأئمة، وجميع أهل السنة: أن المرء لا يكون مسلمًا إلاَّ بالتجرد من الشرك الأكبر، **والبراءة منه وممن فعله**، وبغضهم ومعاداتهم بحسب الطاقة والقدرة، وإخلاص الأعمال كلها لله"[٣].

ويقول محمد بن عبد الوهاب: فالله، الله، إخواني! تمسكوا بأصل دينكم أوله وآخره، أسه ورأسه، وهو: شهادة أن لا إله إلا الله؛ واعرفوا معناها؛ وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم، ولو كانوا بعيدين؛ واكفروا بالطواغيت، وعادوهم، وأبغضوا من أحبهم، أو جادل عنهم، أو لم يكفرهم، أو قال: ما عليَّ منهم، أو قال: ما كلفني الله بهم، فقد كذب هذا على الله، وافترى؛ بل كلفه الله بهم، وفرض عليه الكفر بهم، والبراءة منهم، ولو كانوا: إخوانه، وأولاده؛ فالله، الله، تمسكوا بأصل دينكم، لعلكم تلقون ربكم، لا تشركون به شيئا. اللهم توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين"[٤].

وقال محمد بن عبد الوهاب :" **صفة الكفر بالطاغوت:** أن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها، وتبغضها، وتكفر أهلها، وتعاديهم، وأما معنى الإيمان

[١] رواه الطبري في المعجم الكبير برقم ٦٠٧٣

[٢] رواه مسلم برقم ٢٩٤

[٣] الدرر السنية: (١١/ ٥٤٥).

[٤] الدرر السنية ١٢٠/٢

بالله فأن تعتقد، أن الله هو الإله المعبود وحده، دون من سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم ؛ وهذه ملة إبراهيم التي سفه نفسه من رغب عنها، وهذه هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله: :﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾[الممتحنة ٤]"[١].



[١] الدرر السنية ١٦١/١

الباب الثاني:

بين دعوة أول الرسل وخاتم الرسل

المطلب الأول: دعوة نوح عليه السلام

إن الله خلق آدم ـ عليه السلام ـ بيده وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة ٣٥]، فوسوس له الشيطان فعصى ربه ثم تاب عليه وهدى: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه ١٢٤]، ثم أنزل الله آدم من جنته وأسكنه الأرض مع زوجته، وأنزل معهما إبليس بعد أن أمهله وأنظره ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ وبدأت رحلة الصراع بين الحق والباطل في هذه الأرض ... الصراع بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ... فمكث الناس من بعد نزول آدم إلى الأرض عشرة قرون على التوحيد كما روي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "«كَانَ بَيْنَ نُوحٍ وَآدَمَ عَشْرَةُ قُرُونٍ، كُلُّهُمْ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْحَقِّ فَاخْتَلَفُوا، ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [البقرة:٢١٣]، قَالَ: وَكَذَلِكَ هِيَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً

فَـاخْتَلَفُوا﴾[1]، ثــم دبَّ الشــرك فـي بنـي آدم فـي قــوم نــوح بســبب الجهــل وبُعــد العهــد والغلــو فـي الصــالحين، فاتخــذ النــاس مــن دون اللــه أوليــاء: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[نوح ٢٣]، قــال ابْــن عَبَّــاسٍ: « وَهِــيَ أَسْــمَاءُ رِجَــالٍ صَــالِحِينَ مِــنْ قَــوْمِ نُــوحٍ عَلَيْــهِ السَّــلَامُ، فَلَمَّــا هَلَكُــوا أَوْحَــى الشَّــيْطَانُ إِلَــى قَــوْمِهِمْ أَنِ انْصِــبُوا إِلَــى مَجَالِسِــهِمُ الَّتِــي كَــانُوا يَجْلِسُــونَ فِيهَــا أَنْصَــابًا وَسَــمُّوهَا بِأَسْــمَائِهِمْ فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ »[2].

فلمــا تطاولــت العهــود والأزمــان وانــدرس العلــم بــين الأنــام جعلــوا تلــك الصــور علــى تماثيــل مجســدة ثــم جــاء قــرنٌ مــنهم فقــالوا لــم يُســق آباؤنــا المطــر إلا بــدعاء هــؤلاء فعُبــدت بعــد ذلــك مــن دون اللــه، وكــانوا بعبادتهــا شــرار الخلــق كمــا ثبــت فــي الصــحيحين عــن رســول اللــه ﷺأنــه لمــا ذكــرت عنــده أم ســلمة وأم حبيبــة تلــك الكنيســة التــي رأينهــا بــأرض الحبشــة يقــال لهــا ماريــة، فــذكرتا مــن حســنها وتصــاوير فيهــا قــال: «إِنَّ أُولَئِــكَ، إِذَا مَــاتَ فِــيهِمُ الرَّجُــلُ الصَّــالِحُ بَنَــوْا عَلَــى قَبْــرِهِ مَسْــجِدًا، ثُــمَّ صَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ »[3].

ولمــا انتشــر الشــرك فـي الأرض وعــمَّ الكفــر بعبــادة الأصــنام فيهــا بعــث اللــه عبــده ورســوله نوحــا عليــه الســلام يــدعوا هــؤلاء المشــركين إلــى عبــادة اللــه وحــده لا شــريك لــه وينهـى عــن عبــادة مــا ســواه مــن الصــالحين والتماثيــل، فكــان أول رســول بعثــه اللــه إلـى أهــل الأرض كمــا ثبــت عــن أبــي

[1] تفسير الطبري ٦٢١/٣

[2] أخرجه البخاري في تفسير سورة ٧١.

[3] متفق عليه

هريرة عن النبي ﷺ في حديث الشفاعة قال: « فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوح أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ »[1]... فدعا قومه المشركين إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له وأن لا يعبدوا معه صنما ولا تمثالا ولا طاغوتا ولا وثنا، وأن يعترفوا بوحدانيته وأنه لا إله غيره ولا معبود بحق سواه، ويفردوه بالتلقي والاتباع، فقال تعالى في بيان حقيقة دعوة نوح لقومه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقال: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس ٧١]، وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود: ٢٦]، وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ المؤمنون: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ [نوح: ٢-٣]... وقصة نوح عليه السلام مبسوطة في كتاب الله: في حقيقة دعوته وعناد قومه واستكبارهم وعتوهم وطغيانهم حتى قال تعالى فيهم: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ [النجم٥٢]، إلى أن ذكر

[1] رواه البخاري برقم ٢٥١

الله هلاكهم وإغراقهم لتكذيبهم وعنادهم: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ [الأعراف ٤٠] ... إلى قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف ٤٤].

فمن أصول دعوة نوح إفراد الله بالعبادة وإفراد مصدر التلقي من الله تعالى والاتباع للرسالة الذي جاء بها نوح عليه السلام والطاعة لله ورسوله كما قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٠٦ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٠٧ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[الشعراء١٠٨]، وهي دعوة جميع المرسلين كما في قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٢٥ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء١٢٦] وقوله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٤٢ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٤٣ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[الشعراء١٤٤] وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[الزخرف٦٣]، قال البغوي :" فَاتَّقُوا اللَّهَ، **بِطَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ**، وَأَطِيعُونِ، فِيمَا آمُرُكُمْ بِهِ مِنَ الإيمان والتوحيد"[١]، وقال السمعاني:" أَي: اتَّقوا الله بترك الشّرك، وأطيعون فِيمَا آمركُم بِهِ"[٢].

وقَصرُ لفظ "العبودية لله" ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ على ما كان يصرفه الوثنيون للأصنام من دعاء واستغاثة وذبح ونذر وغيرها، ودعوى أن من أفرد الله بهذا القدر فقد حقق التوحيد وأفرد الله بالعبودية التي أُرسل بها الرسل، ولا يضر توحيده أن يتبع شرائع ومناهج وضعية ويتحاكم إلى

---

[١] تفسير البغوي ٤٧٣/٣

[٢] تفسير السمعاني ٥٧/٤

طواغيت وأرباب أرضية فقد ضل سواء السبيل وأعظم على الله الفرية، ولم يَدْعُ إلى الإسلام الذي جاء به الرسل، بل قد حَرَّفَ دين الله تعالى وصحح دين المشركين وأمر بعبادة غير الله وشَرَع عبادة الطواغيت، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾[يونس ٧٠].

وهذه هي حقيقة دعوة نوح قومه المشركين المخالفين له في أصل الدعوة، فقد دعاهم لتحقيق البراءة من الشرك وعبادة الأوثان ودعاهم إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده دونما سواه، وفاصل قومه المشركين في ذلك وسماهم كفارا مشركين ودعا عليهم بالهلاك وأغلظ في الدعاء كما أخبر تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾[نوح٢٧]، وقد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فما نفعتهم دعوته إلا قليلا منهم ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[العنكبوت ١٥].



المطلب الثاني: دعوة محمد ﷺ.

إنَّ من أعظم النعم والمنن على الخلق بعثة الأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[آل عمران ١٦٤]، ومن أهم المقامات في بعثة الأنبياء هي بعثة نوح وإبراهيم عليهما السلام فهما آباء الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾[الحديد ٢٦]، ولقد كانت بعثة إبراهيم الخليل منارة للعالمين وجعل الله في بنيه النبوة والكتاب، وكان الأنبياء من بعده من نسل إسماعيل واسحاق ويعقوب، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلاًّ جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُواْ لَنَا عَـٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء ٧٣]، ولقد أمر الله إبراهيم ببناء البيت العتيق: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[البقرة ١٢٨]، ودعا إبراهيم أن يبعث الله في بني إسماعيل رسولا من أنفسهم فاستجاب الله له الدعاء ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ

أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[البقرة ١٢٩]، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَوْلُهُ: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ﴾ يَعْنِي أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقِيلَ لَهُ: قَدِ اسْتُجِيبَ لَكَ، وَهُوَ كَائِنٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ.[١]، ثم أمر الله نبيه إبراهيم بدعوة الناس لحج البيت وعلمه الشرائع والمناسك فقال: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج ٢٧]، ودعا إبراهيم الناس إلى الملة الحنيفية ومن بعده إسماعيل عليهما السلام، فكان العرب في الجزيرة على الحنيفية دهرا من الزمان حتى غيَّرها الطواغيت: عمرو بن لحي الخزاعي ورجل من بني مُدْلِج، كما روي عَن زيد بن أسلم قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ إِنِّي لأعرف أول من سيَّب السوائب وَنصب النصب **وَأول من غير دين إِبْرَاهِيم** قَالُوا: من هُوَ يَا رَسُول الله قَالَ: عَمْرو بن لحي أَخُو بني كَعْب لقد رَأَيْته يجر قصبه فِي النَّار يُؤْذِي أهل النَّار ريح قصبه، وَإِنِّي لأعرف من بَحر البحائر قَالُوا: من هُوَ يَا رَسُول الله قَالَ: رجل من بني مُدْلِج كَانَت لَهُ ناقتان فجدع آذانهما وَحرم ألبانهما وَظُهُورهمَا وَقَالَ: هَاتَانِ لله ثُمَّ احْتَاجَ إِلَيْهِمَا فَشرب ألبانهما وَركب ظهورهما قَالَ: فَلَقَد رَأَيْته فِي النَّار وهما يقضمانه بأفواههما ويطآنه بأخفافهما"[٢] ... "فَعَمْرُو هَذَا هُوَ ابْنُ لُحَيِّ بْنِ قَمَعَةَ، أَحَدُ رُؤَسَاءِ خُزَاعَةَ، الَّذِينَ وَلُوا الْبَيْتَ بَعْدَ جَرْهم. وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، فَأَدْخَلَ الْأَصْنَامَ إِلَى الْحِجَازِ، **وَدَعَا الرَّعَاعَ مِنَ النَّاسِ إِلَى عِبَادَتِهَا وَالتَّقَرُّبِ بِهَا، وَشَرَعَ لَهُمْ هَذِهِ الشَّرَائِعَ الْجَاهِلِيَّةَ** فِي الْأَنْعَامِ وَغَيْرِهَا، كَمَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ، عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ

---

[١] رواه ابن أبي حاتم برقم ١٢٥٧

[٢] الدر المنثور ٢١٤/٣

نَصِيبًا ﴾[الْأَنْعَامِ: ١٣٦] إِلَى آخَرِ الْآيَاتِ فِي ذَلِكَ"[١]، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «نَصَبَ عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ الْخَلَصَةَ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ، فَكَانُوا يُلْبِسُونَهَا الْقَلَائِدَ، وَيُهْدُونَ إِلَيْهَا الشَّعِيرَ وَالْحِنْطَةَ، وَيَصُبُّونَ عَلَيْهَا اللَّبَنَ، وَيَذْبَحُونَ لَهَا، وَيُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا بَيْضَ النَّعَامِ، وَنَصَبَ عَلَى الصَّفَا صَنَمًا يُقَالُ لَهُ نَهِيكٌ مُجَاوِدُ الرِّيحِ، وَنَصَبَ عَلَى الْمَرْوَةِ صَنَمًا يُقَالُ لَهُ مُطْعِمُ الطَّيْرِ»[٢].

وكان تغيِّير عمرو بن لحي لدين إبراهيم وإسماعيل متمثل في أمرين:

١- الدعوة إلى عبادة الأوثان التي كانت تعبدها قوم نوح حيث روي أنَّ عمرو بن لحي كان له رئيٌّ من الجن، فأخبره أن أصنام قوم نوح ـ ودًّا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا ـ مدفونة بجُدَّة، فأتاها فاستثارها، ثم أوردها إلى تهامة، فلما جاء الحجُّ دفعها إلى القبائل، فذهبت بها إلى أوطانها"[٣]، قال ابن عباس:" صَارَتِ الْأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدُ: أَمَّا وَد: فَكَانَتْ لكلب بدومة الجندل؛ وأما سُوَاعٌ: فَكَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادَ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيف بالجُرُف عِنْدَ سَبَأٍ، أَمَّا يُعوقُ: فَكَانَتْ لهَمْدان، وَأَمَّا نَسْرٌ: فَكَانَتْ لِحَمِيرَ لِآلِ ذِي كَلاع"[٤].

٢- تشريع الشرائع الجاهلية ودعوة الناس إلى طاعة غير الله والتلقي من الشركاء في التحليل والتحريم والتشريع كما روى البخاري عن أبي هريرة مرفوعا: « **وَرَأَيْتُ فِيهَا عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ وَهُوَ الَّذِي سَيَّبَ السَّوَائِبَ**»[٥].

[١] تفسير بن كثير ٣/٣١٠

[٢] أخبار مكة للأزرقي ١/١٢٤

[٣] الرحيق المختوم ١:٢٧

[٤] صحيح البخاري برقم ٤٩٢٠ .

[٥] صحيح البخاري برقم ١٢١٢

وهذا هو أصل شرك العالم: ١ـ **عبادة غير الله ٢ـ وتلقي الشرائع من الشركاء وطاعتهم من دون الله كما** في قوله: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـًٔا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾[المائدة ١٠٤]، **وكما في قوله تعالى**: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٍ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا ﴾: **قال ابن عباس ومجاهد** والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم:« **نزلت إنكارًا على المشركين فيما كانوا يحللون ويحرمون من البحائر والسوائب والوصائل** كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبًا ﴾"[١].

ويدل على هذا الأصل جلياً قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [النحل ٣٥] **فمقالة الذين أشركوا في الاحتجاج** بالقدر على أمرين:

الأول : ﴿ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ ﴾ ، **وهي عبادة غير الله**.

والثاني: ﴿ وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ ﴾ ، **وهي التشريع من دون الله**.

وهما أصلا شرك العالم، ثم أخبر الله تعالى في نفس السياق أنه أقام الحجة على الخلق في الأصلين وأرسل في كل أمة رسولا ينهى عن هذا الشرك في

[١] تفسير بن كثير ٣٣٩/٤

العبادة والحكم: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾.

ويدل على هذا الأصل قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَأٓمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾[النساء١١٩]، قال ابن عبَّاس: «خَلْقَ اللَّهِ: **دِينَ اللَّهِ.** وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَعِكْرِمَةَ فِي أحد قوليه وإبراهيم النَّخَعِيِّ وَالْحَكَمِ وَالْحَسَنِ وَالسُّدِّيِّ وَقَتَادَةَ وَالضَّحَّاكِ فِي الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ وَعَطَاءٍ الخرساني نحو ذلك»[١]، وعن مجاهد في قوله:" ﴿ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ ، قال: «**الفطرة دين الله**»[٢]، وقال أبو جعفر:" يقول: ولآمرن النصيبَ المفروض لي من عبادك، بعبادة غيرك من الأوثان والأنداد حتى يَنْسُكوا له، **ويحرّموا ويحللوا له، ويشرعوا غيرَ الذي شرعته لهم، فيتبعوني ويخالفونك**"[٣]، وهذا هو أصل شرك العالم في عبادة غير الله واتباع شرائع المشرعين من دون الله.

ويدل على هذا الأصل في السنة ما ورد في حديث عِيَاض بْن حِمَار، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِيَ حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، فَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ بِهِ سُلْطَانًا﴾[٤]، فسمى النبي ﷺ المفطور عليه ديناً والانحرافُ عنه إلى تحليل الحرام هو الشرك الذي لم ينزل الله به سلطانا، وهذا يدل على أن المنحرفين عن الفطرة ـ الدين ـ يعدلون إلى نُظُم وأوضَاع وقِيَم وشَرائِع ما أنزل الله بها من سُلطان.

وكان من أصول شرك أهل الكتاب اتخاذ الأحبار والرهبان، فقد أخبر الله أن أهل الكتاب اتخذوا السادة والعلماء والأشراف والأمراء أربابا

[١] رواه ابن أبي حاتم في تفسيره برقم ٥٩٧٥

[٢] رواه الطبري في تفسيره برقم ١٠٤٧٢

[٣] تفسير الطبري ٢١٤/٩

[٤] رواه مسلم برقم ٦٣

يتلقون منهم الشرائع ويطيعونهم في تحليل ما حرم الله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة ٣١]،

قال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لم يأمروهم أن يسجُدوا لهم، ولكن أمروهم بمعصية الله فأطاعوهم، فسمَّاهم الله بذلك أربابًا»[١]، وسمى اللهُ الطاعة في التحليل والتحريم شركا كما في قوله تعالى ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام ١٣١]، "أَيْ: حَيْثُ عَدَلْتُمْ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ لَكُمْ وَشَرْعِهِ إِلَى قَوْلِ غَيْرِهِ، فَقَدَّمْتُمْ عَلَيْهِ غَيْرَهُ فَهَذَا هُوَ الشِّرْكُ"[٢].

ثم مضى الناس على دين الوثنية وعبادة الأصنام واتباع ما شرعه عمرو بن لحي الخزاعي من الشرائع والطواغيت من بعده كما قال ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِذَا سَرَّكَ أَنْ تَعْلَمَ جَهْلَ الْعَرَبِ فَاقْرَأْ مَا فَوْقَ الثَّلَاثِينَ وَمِائَةٍ مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ [الأنعام ١٤٠]»[٣]، وعَنِ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ [الأنعام: ١٤٥]، قَالَ: « كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَسْتَحِلُّونَ شَيْئًا وَيُحرِّمُونَ أَشْيَاءَ، فَقَالَ: لَا أَجِدُ فِيمَا كُنْتُمْ تَسْتَحِلُّونَ إِلَّا هَذَا "

[١] رواه الطبري برقم ١٦٦٤١

[٢] تفسير بن كثير ٣٢٩/٣

[٣] رواه البخاري ١٨٤/٤

يَقُـــــــــولُ: ﴿ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾[الأنعام: ١٤٥]»[١].

فصــارت الأرض إلــى جاهليــة جهــلاء عربهــا وعجمهــا، فأهــل الكتــاب حرفــوا وبــدلوا ديــن موســى وعيســى عليهمــا الســلام، والعــرب بــدلوا ديــن إبــراهيم وإســـماعيل :« وَإِنَّ اللـــهَ نَظَـــرَ إِلَـى أَهْـــلِ الْأَرْضِ، فَمَقَـــتَهُمْ عَـــرَبَهُمْ وَعَجَمَهُـــمْ، إِلَّا بَقَايَـــا مِـــنْ أَهْـلِ الْكِتَـــابِ »[٢]، فعمــت الجاهليــة الأرض إلــى أن بعــث اللــه النبـــي محمـــد ﷺ رحمـــة للعـــالمين ﴿ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴾[الرعـــد ٣٠]، فبُعـــث ﷺ فـــيهم ليخــرجهم مــن ظلمــات الجاهليــة فــي عبــادة الأوثــان وتشــريع الشــرائع مــن دون اللــه إلــى إفــراد اللــه بالعبــادة والطاعــة والتلقــي والاتبــاع كمــا قــال تعـــــالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾[إبــراهيم:١]، أي لتُخـــرجَ الأرضَ ـــ التـــي مقتهـــا اللــه عربهــا وعجمهــا إلا بقايــا مــن أهــل الكتــاب ـ مــن ظُلمــات الحيــرة والتيــه فــي تعــدد الآلهــة والأربــاب، وظلمــات الــوهم والخرافــة فــي وثنيــة القربــات والتصـــورات، وظلمـــات ســـن القـــوانين وجهالـــة التشـــريعات، وظلمـــات الرذيلـــة والفجـــور فـــي اخـــتلال القـــيم وانحـــلال الأخلاقيـــات ... إلـــى نـــورٍ

[١] تفسير عبد الرزاق برقم ٨٦٥،

[٢] رواه مسلم برقم ٢٨٦٥

تُشرق به النفوسُ بعد أُفولها، وينقشع به ظلام الشرك وضبابُ الخُرافة وغَبش الأوهام وضلال التشريعات.

لقد بُعث النبي ﷺ بين قوم مشركين جاهليين أهلُ فترة وغفلة يعبدون الجن والأحجار والأوثان ويتحاكمون إلى الطواغيت والكهان، ويتلقون الشرائع من صناديد الكفر في دار الندوة كالبرلمان ... فلما دعاهم إلى إفراد الله بهذه الأصول ـ العبادة والحكم والتلقي والاتباع ـ كان منهم الصدود والإعراض والتكذيب والكفران وقالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾[ص٥]، وقال تعالى فيهم: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾[الصافات٣٦]، فالدعوة إلى البراءة من الشرك والآلهة الباطلة وإفراد الله بالتلقي والاتباع قُوبِلَت بالكفر والصَّدِ والعِناد: ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾[الأنعام٦٦]، وقد كانوا يزعمون أنهم على ملة إبراهيم ودين إسماعيل عليهما السلام، فأكذب الله زعمهم وجردهم من نسبتهم فقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[آل عمران٦٧].

وفي المقابل اصطفى الله أهل الهداية من السابقين الأولين فأجابوا داعيَ الإسلام في حال الغربة والفتنة والشدة والبلاء ... ولا شك أن الخارج من الجاهلية منهم إلى الإسلام يرى قومه على ضلالة وأنهم على دين باطل وليسوا على شيء من الحق، وهذا المعنى أدركه عَمْرُو بْنُ

عَبَسَــةَ السُّــلَمِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بفطرتــه حيــث قَــالَ: «كُنْــتُ وَأَنَــا فِـي الْجَاهِلِيَّــةِ أَظُــنُّ أَنَّ **النَّـــاسَ** عَلَــى ضَــلَالَةٍ، وَأَنَّهُــمْ لَيْسُــوا عَلَــى شَــيْءٍ وَهُــمْ يَعْبُــدُونَ الْأَوْثَــانَ»[١]، وللأســف فهــذا المعنــى ــ الــذي أدركــه الحنفــاء بفطــرتهم ــ اليــوم قــد جهلــه عامــة النــاس في هــذا الزمــان ... الزمــان الــذي ارتفــع فيــه الإســلام عــن الأرض وعمــت فيــه الجاهليــة بأوضــاعها ونظامهــا وهــي الجاهليــة الأخــرى التــي أخبــر اللــه بهــا في كتابــه كمــا روي عــن ابــن عبــاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فــي تأويــل قولــه تعــالى: ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب٣٣] قــال: «**تكــون جاهليــة أخــرى**»[٢] ... إنهــا الجاهليــة الأخــرى التــي نعيشــها فــي هــذا الزمــان وتحقيــق الإســلام فيهــا عزيــز ولا يكــون إلا كما حققه الرعيل الأول سواء بسواء.



[١] رواه مسلم برقم ٢٩٤

[٢] رواه ابن أبي حاتم في تفسيره برقم ١٧٦٧٢

المطلب الثالث: أصول دعوة الأنبياء.

من أصول دعوة الأنبياء: البراءة من الشرك والتحذير منه والتحريض على ترك عبادة غير الله تعالى، والحث على إفراد الله بالعبادة وحده دونما سواه وإخلاص العبادة لله كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل ٣٦]، وقال تعالى:﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[الزخرف: ٤٥]، وقال تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى:﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾[البينة]، وعَنْ أَبِي مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ وَحَّدَ اللَّهَ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ فَقَدْ حَرُمَ دَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»[1].

ومن أصول دعوتهم: الحض على البراءة من الطواغيت والآلهة الباطلة واجتنابها، وترك عبادتها والتنفير والتنقيص منها، وبيان أنها لا تصلح للعبادة ولا تنفع ولا تضر ولا تسمع الدعاء ولو سمعت ما أجابت النداء، قال تعالى:﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[يونس ١٨]،

[1] رواه ابن أبي شيبة برقم ٢٨٩٣٥ وأصله عند مسلم

وقـــــــال تعــــــــــالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طـــــه ٧٩]، وقـــــــال تعــــــــالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [الـــــنجم ٢٣]، وقـــــــال تعــــــــالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر ١٤].

ومـــــن أصـــــول دعـــــوتهم: البـراءة مـن المشـركين وأقـوامهم الكـافرين بهـذه الـــدعوة المباركـــة كمـــا قـــال تعـــالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنـــــة ٤]، وقـــــال تعـــــالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ

﴾[يونس ١٠٦]، قال أبو جرير:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل، يا محمد، لهؤلاء المشركين من قومك الذين عجبوا أن أوحيت إليك: إن كنتم في شك، أيها الناس، من ديني الذي أدعوكم إليه، فلم تعلموا أنه حقّ من عند الله: **فإني لا أعبد الذين تعبدون من دون الله من الآلهة والأوثان التي لا تسمع ولا تبصرولا تغني عني شيئًا،** فتشكُّوا في صحته"[١]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[يونس١٠٥]، قال أبو جعفر: ويعني بقوله: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ ، أقم نفسك على دين الإسلام،﴿ حَنِيفًا﴾ مستقيمًا عليه، غير معوَجّ عنه إلى يهوديةٍ ولا نصرانيةٍ، ولا عبادة وثن ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾يقول: ولا تكوننَّ ممن يشرك في عبادة ربِّه الآلهةَ والأندادَ، فتكون من الهالكين"[٢].

فالقرآن كله في بيان أصول دعوة الأنبياء وهي الدعوة إلى توحيد الله في العبادة والتلقي والحكم والاتباع والنهي عن الشرك بالله في ذلك كله، والقران كله في البراءة من هذا الشرك ومن أهله كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[الأنعام١٤]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[الأنعام:٧٩]، وقوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[النحل ١٢٣]، **وقوله:** ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[الكافرون: ١] وغيرها من الآيات

[١] تفسير الطبري ٢١٧/١٠

[٢] تفسير الطبري ٢١٢/١٥

في المفاصلة بين المسلمين والمشركين، وبيان أن عباد الله الموحدين في دين وعُبَّاد الشيطان المشركين في دين آخر، **فمن جعل المشركين كالمسلمين فقد انتكست عنده الفطرة وردَّ الميثاق وكذب القرآن ولا حض له من الإسلام والإيمان**، قال حمد بن عتيق:" وبالجملة: فأصل دين جميع الرسل، هو القيام بالتوحيد، ومحبته ومحبة أهله، وموالاتهم، وإنكار الشرك، وتكفير أهله، وبغضهم، وإظهار عداوتهم، كما قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾[الممتحنة ٤]، ، ومعنى قوله: ﴿وَبَدَا ﴾ أي ظهر وبان؛ والمراد التصريح باستمرار العداوة والبغضاء لمن لم يوحد ربه. فمن حقق ذلك علماً وعملاً، وصرح به حتى يعلمه منه أهل بلده، لم تجب عليه الهجرة من أي بلد كان"[1].



[1] الدرر السنية ٨/٤١

الباب الثالث:

تحقيق ملة إبراهيم في هذا الزمان

إن تحقيق الملة الحنيفية في هذا الزمان يقوم على الإتيان بالأركان الثلاثة التي سبق تفصيلها في هذا الكتاب، ونذكر في هذا الباب تنزيلها على واقع الناس فيما أحدثوه من مخالفة وشرك وكفر وتنديد في هذا الزمان، ونفصلها هنا بعد الإجمال حتى يتسنى للمكلف أن يعرف ما وقع فيه قومه من شرك فيحذره ويجتنبه، ويعرف من هم المشركون في هذا الزمان فيكفرهم ويحقق البراءة منهم، ويعرف من هم طواغيت الأرض فيحقق البراءة منهم ويعتزلهم ويجتنب عبادتهم فينجو بذلك ـ بعد تحقيق أصول معتقد أهل السنة والجماعة ـ ويسلم له دينه في هذه الجاهلية النكراء.

المطلب الأول: البراءة من الشرك في هذا الزمان

لقد انتشر الشرك بالله في هذا الزمان في صور كثيرة جداً في هذه الديار تحت ظل هذه الجاهلية النكراء، لاسيما مع استمرار حكم الطواغيت لأزمان مديدة، والعمل على إدخال عموم المحكومين في الكفر أفواجا وسلخهم من الفطرة السوية أحداثا ... فصار الشرك متغلغلاً في حياة الناس حيث ينشأ عليه الأطفال في مدارس الطاغوت منذ نعومة أظفارهم، إلى أن يمارسونه في شبابهم وشيبهم في صور الولاء والنصرة للوطن والقتال دونه وتحت رايته وشعاره وفي سبيله، والمشاركة السياسية في اختيار منظومة الحكم والتشريع، والاتباع

للقوانين الوضعية والطاعة لأربابها عبر المؤسسات الطاغوتية، وغير ذلك مما هو متداخل مع الروتين اليومي لحياة هؤلاء الجاهليين، والنجاة منه متعذرة مستصعبة إلا من علّمه الله وهداه وشرح صدره للإسلام ووفقه لمفاصلة الجاهلية وانتقاه، ونعرض هنا أظهر صور الشرك المنتشرة بين الجاهليين في هذا الزمان حتى يحذرها السالك على نفسه وبنيه: ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[إبراهيم ٣٦]،

__١- شرك العبادة:__ ومن أبرز مظاهره في هذا الزمان هي اتخاذ الناس القبور والقباب والمشاهد تُصرف لها أنواع العبادات كالدعاء والاستغاثة والخوف والتوكل والسجود والذبح وغيرها، واعتقاد أنها تنفع وتضر وتقضي الحوائج وتكشف الكُرَب وأن لها الشفاعة والزلفى عند الله تعالى، وقد أخبر النبي ﷺ أنه لا تقوم الساعةُ حتى يخرج الناس من الدين أفواجا ويعودوا إلى عبادةِ الأوثان أفواجاً، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ حَوْلَ ذِي الْخَلَصَةِ طَاغِيَةِ دَوْسٍ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ﴾[١]، وعن أبي هريرة ؛ قال: تلا رسول الله ﷺ : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴾[النصر:٢]، فقال رسول الله ﷺ: ﴿ليخرجن منه أفواجًا كما دخلوا فيه أفواجًا﴾[٢].

وهذا أصلٌ من أصول شرك العالم كما سبق معنا: فاتخاذ القبور والمشاهد والأوثان والمعابد في هذا الزمان في عموم البلدان العربية كالبدوي في مصر والست زينب في سوريا والجيلاني في العراق و عبد الرحمن الثعالبي في الجزائر والحسينيات في جزيرة العرب وغيرها كثير، لمعالمٌ بارزة وصروحٌ

[١] رواه البخاري برقم ٧١١٦ ومسلم رقم ٢٩٠٦

[٢] رواه الحاكم في "مستدركه"، وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي في "تلخيصه".

شاهدة على الجاهلية القائمة في الأرض في هذا الزمان، وحال الناس اليوم كما كان عليه العرب في الجاهلية الأولى في كل قريةٍ صنم ولكل قبيلةٍ إله، قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴾ [النجم ٢٠]، فوثنية الجاهلية الأولى هي وثنية اليوم سواءٌ بسواء.

__٢ـ شرك الربوبية:__ ومن أظهر مظاهره في هذا الزمان شرك **التشريع**: وهو سن الأحكام والشرائع من دون الله، وهذا من اتخاذ الشركاء من دون الله وهو من أصل شرك العالم كما بينَّا في هذه الرسالة وكما قال تعالى: ﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى ٢١]، **وهذا الشرك من أظهر أنواع التنديد في هذا الزمان : ففي دين الديمقراطية الشعب هو مصدر السلطة التشريعية، فالشعوب هي التي تمارس حق التشريع من دون الله،** وهذا المعلم متمثلٌ في هذا الزمان في تنصيب البرلمانات ومجالس الشعب التي تَسُنُّ القوانين والنُّظم، وإجراء الانتخابات لتنصيب الحُكَّام ونواب الشعب المشرعين، ففي جاهلية العصر يَتَجلى بوضوح حاكمية البشر للبشر وعبودية العباد للعبيد.

وكذلك من مظاهر شرك الربوبية في هذا الزمان شرك الصوفية الذين يعتقدون ربوبية الأبدال والأولياء[١] ووحدة الوجود التي فحواها أن الخالق عين المخلوق والمخلوق عين الخالق وأن الله متحد بمخلوقاته[٢]، قال ابن القيم:" **وَمِنْ هَذَا شِرْكُ طَائِفَةِ أَهْلِ وَحْدَةِ**

---

[١] ويعتقد الصوفية في الأولياء عقائد شتى؛ فمنهم من يفضِّل الولي على النبي، ومنهم من يجعل الولي مساوٍ لله في كل صفاته فهو يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويتصرف في الكون، ولهم تقسيمات للولاية؛ فهناك الغوث، والأقطاب، والأبدال، والنجباء، حيث يجتمعون في ديوان لهم في غار حراء كل ليلة ينظرون في المقادير، ومنهم من لا يعتقد ذلك، ولكنهم أيضًا يأخذونهم وسائط بينهم وبين ربهم، سواء كان في حياتهم أو بعد مماتهم.

[٢] جاء في كتابهم جواهر المعاني: فما في ذوات الوجود كله إلا الله سبحانه، وهذه العقيدة مخالفة للعقل والفطرة والشرع، وقد قام إجماع المسلمين على كفر من قال بها، وقد كفَّر الله تعالى النصارى بقولهم إن الله هو المسيح، فكيف بمن يقول إن الله متحد بمخلوقاته.

الْوُجُودِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: مَا ثَمَّ خَالِقٌ وَمَخْلُوقٌ وَلَا هَاهُنَا شَيْئَانِ، بَلِ الْحَقُّ الْمُنَزَّهُ هُوَ عَيْنُ الْخَلْقِ الْمُشَبَّهِ"[١].

ومن الشرك الذي صار له صوتٌ في هذا الزمان هو شرك الملاحدة الزنادقة، قال ابن القيم:" وَمِنْهُ شِرْكُ الْمَلَاحِدَةِ الْقَائِلِينَ بِقِدَمِ الْعَالَمِ وَأَبَدِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَعْدُومًا أَصْلًا، بَلْ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ، وَالْحَوَادِثُ بِأَسْرِهَا مُسْتَنِدَةٌ عِنْدَهُمْ إِلَى أَسْبَابٍ وَوَسَائِطَ اقْتَضَتْ إِيجَادَهَا، وَيُسَمُّونَهَا بِالْعُقُولِ وَالنُّفُوسِ. "[٢].

<u>٣ـ الشرك والكفر في الأسماء والصفات</u>: ومن أظهر معالمه في هذا الزمان هو المدارس والمعاهد والجامعات التي يدرس فيها العقيدة الأشعرية الجهمية في المقررات الدراسية، وهي عقيدة جهمية كفرية في باب الأسماء والصفات والأسماء والأحكام وغيرها من الأبواب العقدية، **وشرك تعطيل الأسماء والصفات** هو شرك غلاة الجهمية كما قال عبد الله بن أحمد سَمِعْتُ أَبَا مَعْمَرٍ الْهُذَلِيَّ، يَقُولُ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَكَلَّمُ وَلَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يَغْضَبُ وَلَا يَرْضَى - وَذَكَرَ أَشْيَاءَ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ - فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِنْ رَأَيْتُمُوهُ عَلَى بِئْرٍ وَاقِفًا فَأَلْقُوهُ فِيهَا بِهَذَا أَدِينُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، لِأَنَّهُمْ كُفَّارٌ بِاللَّهِ تَعَالَى»[٣]، وقال ابن القيم:" وَمِنْ هَذَا شِرْكُ مَنْ عَطَّلَ أَسْمَاءَ الرَّبِّ تَعَالَى وَأَوْصَافَهُ وَأَفْعَالَهُ مِنْ غُلَاةِ الْجَهْمِيَّةِ وَالْقَرَامِطَةِ، فَلَمْ يُثْبِتُوا لَهُ اسْمًا وَلَا صِفَةً، بَلْ جَعَلُوا الْمَخْلُوقَ أَكْمَلَ مِنْهُ، إِذْ كَمَالُ الذَّاتِ بِأَسْمَائِهَا وَصِفَاتِهَا"[٤].

<u>٤ـ الشرك في الطاعة والاتباع</u>: وهو التلقي عن المشرعين وقبول شرعهم وامتثال أمرهم في التحليل والتحريم وإسقاط الواجبات، قال تعالى: ﴿وَلَا

---

[١] الجواب الكافي ١/١٣٠

[٢] الجواب الكافي ١/١٣٠

[[٣]] السنة لعبد الله برقم ٥٣٥

[٤] الجواب الكافي ١/١٣٠

تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام ١٣١]، وقال تعالى:﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة٢٢]، وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن مُرَّة عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾قال:« أكفَّاءً من الرجال تطيعونهم في معصية الله»[١]. فالجعل في هذه الآية هو اتخاذ الأرباب كما في قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ، وهم الأكفاء من الرجال والمُتخَذين من دون الله أربابا في التلقي، قال الطبري: فنهاهم الله تعالى أن يُشركوا به شيئًا، وأن يعبدوا غيرَه، **أو يتخذوا له نِدًّا وَعِدلا في الطاعة**، فقال: كما لا شريك لي في خلقكم، وفي رزقكم الذي أرزقكم وملكي إياكم، ونعمي التي أنعمتها عليكم فكذلك **فأفردوا ليَ الطاعة، وأخلصُوا ليَ العبادة**، ولا تجعلوا لي شريكًا ونِدًّا من خلقي، فإنكم تعلمون أن كلّ نعمةٍ عليكم فمنّي"[٢].وعن الربيع بن أنس، عن أبي العالية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قال: قلت لأبي العالية: كيف كانت **الرُّبوبية** التي كانت في بني إسرائيل؟ قال: «ما أمرونا به ائتمرنا، وما نهونا عنه انتهينا لقولهم، وهم يجدون في كتاب الله ما أمروا به وما نهوا عنه، فاستنصحوا الرجالَ، ونبذُوا كتاب الله وراء ظهورهم»[٣].

وصورته في امتثال هذه الشعوب إلى القوانين المخالفة للشريعة الصادرة من المشرعين الوضعيين دون عصيان مدني، ومصداق ذلك انتخاب الشعب

[١] رواه الطبري ٤٨٢

[٢] تفسير الطبري ١/ ٣٧٠

[٣] رواه الطبري في تفسيره برقم ١٦٦٤٢

نوابا عنه في التشريع، ويتبعهم فيما يسنون لهم من الشرائع والأوضاع، وقد تقرر أن "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْقَوَانِينَ الْوَضْعِيَّةَ الَّتِي شَرَعَهَا الشَّيْطَانُ عَلَى أَلْسِنَةِ أَوْلِيَائِهِ مُخَالَفَةً لِمَا شَرَعَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ، **أَنَّهُ لَا يَشُكُّ فِي كُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ إِلَّا مَنْ طَمَسَ اللَّهُ بَصِيرَتَهُ، وَأَعْمَاهُ عَنْ نُورِ الْوَحْيِ مِثْلَهُمْ**"[١].

<u>٥ـ الشرك في الحكم</u>: ومن صوره في هذا الزمان تبديل الشرع المنزل والحكم بشرائع الجاهلية والقوانين الوضعية قال تعالى:﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[الكهف:٢٦] قال يحي بن سلام:" ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾،وَهِيَ تُقْرَأُ بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ، يَقُولُونَ: وَلا تُشْرِكْ يَا مُحَمَّدُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا، يَقُولُ: **حَتَّى تَجْعَلَهُ مَعَهُ شَرِيكًا فِي حُكْمِهِ وَقَضَائِهِ وَأُمُورِهِ**، وَمَنْ قَرَأَهَا بِالْيَاءِ يَقُولُ: وَلا يُشْرِكُ اللَّهُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا"[٢].

ومن مظاهره التحاكم إلى محاكم الطاغوت في الخصومات واسترداد الحقوق قد ورد في سبب نزول آية النساء عن المعتمر بن سليمان، عن أبيه قال: زعم حضرميٌّ أن رجلا من اليهود كان قد أسلم، **فكانت بينه وبين رجل من اليهود مدارأة في حق**، فقال اليهودي له: انطلق إلى نبي الله، فعرف أنه سيقضي عليه. قال: فأبى، فانطلقا إلى رجل من الكهان فتحاكما إليه، قال الله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[النساء ٦٠]"[٣].

[١] أضواء البيان ٣/٢٥٩

[٢] تفسير بن سلام ١/١٨٠

[٣] رواه الطبري في تفسيره برقم ٨٩٩٤.

فالواجب على المكلف البراءة من هذا الشرك وصوره في هذه المجتمعات، واعتقاد بطلانه واجتنابه وعدم مقارفته أو التلبس به.

٢ـ المطلب الثاني: البراءة من المشركين

إنَّ من نظر في صنوف الشرك المنتشرة في هذا الزمان علم يقينا أن جمهور الناس قد تلبس بهذه المكفرات، وندر أن يسلم فرد منهم من الوقوع في هذه المناطات التي هي مقررة في برنامج حياة الأفراد والمجموع، كالمدارس التي يمكث فيها الطالب لأكثر من عقد من الزمان، والثكنات التي يساق إليها الشباب للإعداد لنصرة الطواغيت والأوطان، والانتخابات التي يدعى إليها الجاهليين في كل موسم لاختيار الطاغوت الأنسب لهم يحكمهم بشرائع الجاهلية، والمؤسسات التي يخضع لها العاملين للوائح الطواغيت والأرباب، "فخلاصة هذه الشعوب هي أجيال نشأت في المدارس الوضعية فانتكست فطرتها وتشبعت بالمعاني الوضعية العلمانية فصار الإسلام عندها محصورا في شعائر وأذكار لا يخرج من صومعة المساجد، كما أن النصرانية المحرفة هي ترانيم وتعاويذ تردد في الكنائس والمعابد ... أما في البيوت والأسواق والشوارع والزقاق وعموم الديار، فالحكم فيها لغير الله تعالى الواحد القهار، فالأضرحة والمقامات والمزارات تُصرف لها العبادة والدعاء من غير نكير أو تكفير، والمحاكم عامرة تحكم بشريعة الطاغوت من دون الله العلي القدير، والبرلمانات تُحلِّل وتُحرِّم وتُشرع وتَسُن اللوائح والقوانين، والشعوب ساكنة خاضعة متبعة منقادة دون مدافعة أو مناجزة أو مناكفة فلا تنكر شركاً ولا تعرف توحيدا .... فارتفع الإسلام عن

الأرض وحلت الجاهلية فيها بأوضاعها: العبادة والحكم والولاية والقيم والأخلاق"[١].

ومن المتقرر في قواعد الشريعة وكلياتها أن الدار أو القوم أو المجتمع إذا تفشى فيهم الشرك والكفر دون نكير ولا نذير وعُطلت بينهم معالم الدين وشرائع الإسلام واتبع الناس دين الملوك المبدلين بالطاعة والاتباع في الحكم والتشريع، أنه يُحكم عليهم بعموم الكفر على الأعيان إلا من أظهر خلاف ما عليه القوم من الكفر بالله وذلك بإجماع الصحابة كما نقله عنهم أبو عبيد القاسم بن سلام[٢] واتفق عليه المتأخرون كما قال حمد بن عتيق:" **ومن له مشاركة فيما قرره المحققون**، قد اطلع على أن البلد، إذا ظهر فيها الشرك، وأُعلنت فيها المحرمات، وعطلت فيها معالم الدين، أنها تكون بلاد كفر، تُغنم أموال أهلها، وتستباح دماؤهم، وقد زاد أهل هذه البلد، بإظهار المسبة لله ولدينه، ووضعوا قوانين ينفذونها في الرعية، مخالفة لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وقد علمت أن هذه كافية وحدها، في إخراج من أتى بها من الإسلام"[٣].

وإذا صارت الأقوام إلى الشرك والكفر العام فلا تصح البراءة من المشركين إلا بتكفير عموم الأقوام، لأن المشركين قد صاروا في صورة الأقوام فلا تتحقق البراءة من المشركين إلا بتكفيرهم ولا يصحُّ إسلام المرء حتى يُحقّق البراءة من الشرك والمشركين بدلالة النُّصوص المفسرة لكلمة التوحيد، وبإجماع جميع أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، كما حكى الإجماع عبد الرحمن بن حسن حيث قال: "أجمع العلماء

---

[١] البراهين الجلية على كفر الشعوب العربية للمصنف ص٤

[٢] وحكى الإجماع أبو عبيد القاسم بن سلام في سياق استدلاله أن العمل ركن في الإيمان فقال: " وَالْمُصَدِّقُ لِهَذَا جِهَادُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ عَلَى مَنْعِ الْعَرَبِ الزَّكَاةَ كَجِهَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ الشِّرْكِ سَوَاءً ، لَا فَرْقَ بَيْنَهَا فِي سَفْكِ الدِّمَاءِ ، وَسَبْيِ الذُّرِّيَّةِ ، وَاغْتِنَامِ الْمَالِ ، فَإِنَّمَا كَانُوا مَانِعِينَ لَهَا غَيْرَ جَاحِدِينَ بِهَا" الايمان ١٧/١

[٣] الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢٥٧/٩

سلفًا وخلفًا من الصحابة والتابعين والأئمة، وجميع أهل السنة: أن المرء لا يكون مسلمًا إلاَّ بالتجرد من الشرك الأكبر، **والبراءة منه وممن فعله**، وبغضهم ومعاداتهم بحسب الطاقة والقدرة، وإخلاص الأعمال كلها لله"[1]، فالبراءة من المشركين في صورة شرك الأقوام وعموم الكفر في الديار يتحقق بالبراءة من القوم وتكفيرهم، ودلت عليه نصاً آية الممتحنة: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ **إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ** وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾، والآيات الواردة في بيان ملة إبراهيم وحقيقة ودعوة الرسل والمفسرة للتوحيد كلها خطاب من الرسل لأقوامهم المشركين بالبراءة والتكفير كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الزخرف ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[الأنعام:٧٩]، وسياق قصص الأنبياء في سورة الأعراف وهود حيث يتكرر قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ﴾.

والواجب على المكلف في هذا الزمان أن يحقق البراءة من قومه المشركين ويكفرهم بالعموم إلا من أظهر الإسلام بإظهار مفارقة قومه فيما أحدثوه من كفر وشرك بالله تعالى وهو الظاهر المعتبر في هذه الديار.

---

[1] الدرر السنية: ١١/ ٥٤٥.

المطلب الثالث: البراءة من الطواغيت

اعلم أن رؤوس الطواغيت في هذا الزمان كثيرة ومنها:

١ـ الحكام الحاكمين بغير شرع الله : قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾[النساء٦٠]، قَالَ جَابِرٌ: «كَانَتِ **الطَّوَاغِيتُ الَّتِي يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهَا**، فِي جُهَيْنَةَ وَاحِدٌ، وَفِي أَسْلَمَ وَاحِدٌ، وَفِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ، كُهَّانٌ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ»[١].

ويدخل في ذلك الرؤساء والوزراء والأمراء في هذه الديار الحاكمين بشريعة الغاب، ويدخل في ذلك رؤساء العشائر وشيوخ القبائل الذين يحكمون بالعادات والسلوم، ويدخل فيه القضاة في محاكم الطاغوت في هذا الزمان وكل من تحوكم إليه بغير شرع الله وكل من حكم بغير شرع الله ولو في مقام اللهو واللعب.

٢ـ المشرعين في البرلمانات : قال تعالى:﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى ٢١]، فهؤلاء النواب الذين ينتخبهم الشعوب لسن القوانين والتشريع من دون الله هم طواغيت شركاء لله عز وجل في أخص خصائصه في ربوبيته وهو تشريع الشرائع وسن الأحكام التي هي من خصائص الله في ربوبيته قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾[الشورى ١٣].

[١]رواه البخاري ٤٥/٦

٣ـ علماء الطواغيت: قال تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام ١٣١]، ويدخل في ذلك مشايخ الصوفية والمداخلة واللجان الدائمة للإفتاء في ديار الكفر التي تعمل تحت إشراف الطواغيت ومؤسساتهم، وهؤلاء العلماء هم الذين يدعون الناس إلى عبادة الطواغيت وطاعتهم والقتال دونهم ويصدون عن سبيل الله، فقد صار علماء هذه الأمة ـ إلا من رحم الله ـ شرارها حالهم أشد من حال الأحبار والرهبان الذين ذمهم الله في كتابه في مواضع كقوله: ﴿أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الأعراف:١٦٩]، قال السُّدِّيّ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: «هُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَشْبَاهُهُمْ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُرْجِئَةِ»[١]، وهمُ الذين خافهم رسول الله ﷺ على هذه الأمة كما في حديث ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ»[٢]، وهم الذين أفسدوا الدين كما قال ابن المبارك:

وَهَل أفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا المُلوكُ ... وَأحبارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُها؟

٤ـ الكهان والسحرة: قال الشَّعْبِيُّ: «الطاغوت: الساحر»"[٣]، ومثله عَن أبي الْعَالِيَة قَالَ: «الطاغوت السَّاحر»"[٤].

[١] رواه ابن ابي حاتم في تفسيره برقم ٨٤٩٢

[٢] رواه أحمد برقم ٢٢٣٩٣

[[٣]] رواه ابن أبي حاتم برقم ٢٦٢٠

[[٤]] رواه الطبري برقم ٥٨٠١

وعَنِ السُّدِّيِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾، «وَهُوَ أَبُو بُردة الأَسْلَمِيّ الْكَاهِنُ»"[١]، ويدخل في ذلك المنجمين والمدعين لعلم الغيب على القنوات.

٥- **الشيطان**: وهو رأس من رؤوس الطواغيت كما روي عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قال: «الطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ»، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي الْعَالِيَةِ وَمُجَاهِدٍ وَالْحَسَنِ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَالضَّحَّاكِ وَعِكْرِمَةَ وَعَطَاءٍ وَالسُّدِّيِّ، نَحْوُ ذَلِكَ."[٢]، قال ابن كثير:" وَمَعْنَى قَوْلِهِ فِي الطَّاغُوتِ: إِنَّهُ الشَّيْطَانُ قَوِيٌّ جِدًّا فَإِنَّهُ يَشْمَلُ كُلَّ شَرٍّ كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، **مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالتَّحَاكُمِ إِلَيْهَا وَالِاسْتِنْصَارِ بِهَا**."[٣].

والشيطان هو رأس الطواغيت وكل عبادة لغير الله في الأرض أو تشريع من دون الله إنما وقعت بتزيين الشيطان لأوليائه وطاعة أمره واتباع وحيه، ويدخل في هذا أرباب المنظمات التي تدعوا إلى الخروج على الفطرة السوية كفعل قوم لوط، وقد وجد في هذا الزمان طائفة من الناس تعبد الشيطان والله المستعان.

والواجب على المكلف أن يحقق البراءة من هؤلاء الطواغيت والآلهة الباطلة ويعتقد كفرهم ويجتنب عبادتهم.



---

[١] رواه ابن ابي حاتم برقم ٥٥٥١

[٢] رواه ابن ابي حلتم برقم ٢٦١٨

[٣] تفسير ابن كثير ٦٨٣/١

الخاتمة

إن من أعظم الحقائق المغيَّبة في هذا الزمان هي حقيقة أصل شرك العالم المركبة من: ١ـ **عبادة غير الله ٢ـ وتلقي الشرائع من الشركاء وطاعتهم من دون الله، وقد بيَّنا في هذه الرسالة بالأدلة من الكتاب والسنة أنها حقيقة مركبة، ولا يتم تحقيق العبودية والملة الحنيفية إلا بإفراد الله في العبادة والتلقي والحكم والاتباع**، وقد درج علماء الطواغيت في حصر هذه الحقيقة بشرك النسك والعبادة فقط، ومن سلم عندهم من دعاء القبور والتوسل بها فقد سلم له الدين، وهذا أكبر تحريف لأصل دين الله في هذا الزمان، حيث أُسقط توحيد مصدر التلقي والحكم والتشريع من أصل الإسلام فعبدت بذلك الدساتير والطواغيت في أرض الله ... وصارت الطاعة للقانون والتلقي من الأرباب والاستمداد من أهواء البشر والحكم للأراذل وصار الناس بذلك عبيدٌ للعبيد ... لقد أعطوا السلطان حق التشريع والحكم وجعلوه من حقوق الشعوب والطواغيت، ودعوا الناس إلى هذا الدين فأجابت ودخلت فيه أفواجا وأفرادا وكان منها الطاعة والاتباع ... إنه الشرك الذي وقع فيه أهل الكتاب في اتخاذهم الأحبار والرهبان ودستورهم المثناة ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ... وهو الشرك الذي جدَّده عمرو بن لحي الخزاعي في جزيرة العرب لما غيَّر دين إبراهيم الخليل **كما** في قوله: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾[المائدة ١٠٤]، عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ، قَالَ: " البَحِيرَةُ: الَّتِي يُمْنَعُ

دَرُّهَا لِلطَّوَاغِيتِ، فَلاَ يَحْلُبُهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ، وَالسَّائِبَةُ: كَانُوا يُسَيِّبُونَهَا لِآلِهَتِهِمْ لاَ يُحْمَلُ عَلَيْهَا شَيْءٌ" قَالَ: وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرٍ الخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ»"[١].

لقد صار الناس بهذا التحريف في هذا الزمان عبيدٌ للعبيد، فهم من يصنع طواغيت الحكم والتشريع عن طريق انتخابهم أو عزلهم وتنصيب غيرهم، فالشعب هو الذي يمارس هذا الشرك عبر الآليات المتاحة في الديانة الديمقراطية، وهو نفس الشرك الذي أخبر به الله عن أهل الكتاب حين اتخذوا السادة والعلماء والأشراف والأمراء أربابا يتلقون منهم الشرائع ويطيعونهم في تحليل ما حرم الله تعالى كما قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه:« لم يأمروهم أن يسجُدوا لهم، ولكن أمروهم بمعصية الله فأطاعوهم، فسمَّاهم الله بذلك أربابًا»[٢]، وقد سمى اللهُ الطاعة في التحليل والتحريم شركا كما في قوله تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[الأنعام ١٣١]، "أَيْ: حَيْثُ عَدَلْتُمْ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ لَكُمْ وَشَرْعِهِ إِلَى قَوْلِ غَيْرِهِ، فَقَدَّمْتُمْ عَلَيْهِ غَيْرَهُ فَهَذَا هُوَ الشِّرْكُ""[٣].

وهذا الذي ذكره المولى في هذه الآيات بأوضح الألفاظ الدالة على صورة الشرك بالله في التشريع والتلقي والاتباع وأنه من أصل شرك العالم، نراه اليوم واقعٌ من عموم الناس في هذا الزمان مع الأراذل في البرلمان ... ونراه بأوضح مشهد عصري ذو هيكلة إدارية متكاملة،

---

[١] رواه البخاري برقم ٤٦٢٣

[٢] رواه الطبري برقم ١٦٦٤١

[٣] تفسير بن كثير ٣/٣٢٩

سواء كان في الترشيح للحكم والتشريع والحملة الانتخابية والإعلامية لمشاريعهم وأحكامهم الجاهلية، وحملات التصويت عبر صناديق الاقتراع، ثم مزاولة التشريع تحت قباب البرلمان في المنظومة الديمقراطية التي تُعبِّد الخلق للخلق في أجلى صورة للشرك بالله تعالى في عهد هذه البشرية ... ومع كل هذا الوضوح ترى العميان ومن يسير خلفهم يقول أن هذا من جنس المعاصي، ومن تقدم منهم قال هذا شرك الخاصة دون العامة، ولكن الناظر اليوم يرى أنه قد شارك فيه السفهاء والعقلاء وهم في الخيَّرة والرأي والانتخاب فيه على جهة السواء.

أيها الناس إن جماهير الشعوب الجاهلية في هذا الزمان هي عبيد الطواغيت والدساتير، مشركين في التلقي والطاعة والاتباع، خاضعين للأنظمة الديمقراطية الجاهلية متحاكمين لقوانينها وأحكامها منقادين لأمرها ونهيها وتشريعها ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[القصص ٦٨]، وكل من عرف الإسلام والملة الحنيفية لا يتردد في نسبة قومه إلى الشرك والوثنية والجاهلية والبراءة منهم والكفر بهم، فلا تكن يا عبد الله ممن أصم آذانه واتبع شيوخه وخلانه، وتولى بعد ظهور الحق وبيانه، وعاند بعد قيام الحجة عليه فاستوجب عذابه، وكان ممن قال الله فيهم: ﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾[الكهف١٠١]، قال قتادة« كانوا عميًا عَنِ الحق فلا يبصرونه صمًا عنه فلا يسمعونه»[١] ... أيها المكلف الغافل تب إلى الله عز وجل قبل فوات الأوان ، قال يحي بن سلام: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ

[١] رواه ابن أبي حاتم في تفسيره برقم ١٢٩٩٤

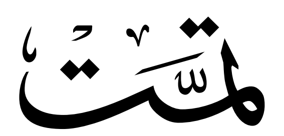
بالشـرك ﴿لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر٥٣]، كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ"[1].

إن تحقيق ملة إبراهيم في هذ الزمان يكون كما أمر الله تعالى في كتابه: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة ٤]، فمن حقق البراءة من قومه ومما يعبدون من دون الله وكفَّرهم وعاداهم وأبغضهم، وآمن بالله واستسلم لله بتوحيده، ولم يشرك بالله شيئاً في العبادة والحكم والطاعة والمحبة، واجتنب عبادة الطاغوت، واتَّبع ما أنزل الله وكان عبداً لله في التلقي والطاعة والاتباع لا عبداً للطواغيت أو ولياً للكافرين أو ظهيرا للمشركين كما قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام١٠٦] وقال تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة٢٥٧] فمن أتى بذلك فقد حقق ملة إبراهيم واستمسك بالعروة الوثقى والكلمة الباقية ... اللهم اجعلنا منهم على الحنيفية وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين ... اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين.

---

[1] تفسير يحي بن سلام ١/٤٩٠


تمت